وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

الإيثار الدلالي في القرآن الكريم

إطروحة تقدمت بها
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى ، وهي
جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في
اللغة العربية وآدابها

الطالبة
بشرى عبدالمهدي إبراهيم التميمي

بإشراف
الأستاذ الدكتور
ليث أسعد عبدالحميد

1436 هـ 2014 م

المبحث الأول

الإيثار الدلالي في الصوامت والصوائت

توطئة :

ميّز علماء الأصوات في اللغة بين نوعين منها ، وهي الأصوات الصامتة ، والأصوات الصائتة .

والصوت الصامت : مصطلح وضع ليقابل المصطلح الإنكليزي (Consonant) .

وحدّه السعران بانّه : ((الصوت المجهور او المهموس الذي يحدث في نقطة أن يعترض مجرى الهواء اعتراضاً كاملاً (كما في حالة الباء) ، أو اعتراضاً جزئياً من شأنه أن يمنع الهواء من أن ينطلق من الفم دون احتكاك مسموع (كما في حالة الثاء والفاء مثلاً)))[1] . وعليه فإنّ كلّ الأصوات سواء أكانت مجهورة أم مهموسة هي صوامت .

أمّا الصوت الصائت : فهو مصطلح يقابل المصطلح الانكليزي (Vowels) ، وهو ((كلّ صوت مجهور يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم ، وخلال الانف معهما أحياناً دون أن يكون ثمة عائق يعترض مجرى الهواء إعتراضاً تاماً ، أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه ان يحدث احتكاكاً مسموعاً))[2] .

وتشمل الصوائت : الفتحة والضمة والكسرة وما يقابلها من حروف المد وهي الألف والواو والياء .

وقد عقد ابن جني باباً في الخصائص سمّاه (في مطل الحروف) ، قال فيه : ((والحروف الممطولة هي الحروف الثلاثة اللينة ، المصوتة ، وهي الألف والياء والواو))[3] . وميّز بين الحركات القصيرة ، والحركات الطويلة ، إذ قال في الباب الذي سمّاه (في مضارعة الحروف للحركات ، والحركات للحروف) : ((وسبب ذلك حرف صغير ، ألا ترى أنّ متقدمي القوم ، مَنْ كان يسمّي الضمة الواو الصغيرة ، والكسرة الياء

---

(1) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، محمود السعران : 124 .

(2) المرجع نفسه : 124 .

(3) الخصائص : 3/ 124 .

الصغيرة ، والفتحة الألف الصغيرة ، ويؤكد ذلك عندك انّك متى أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفاً من جنسها))[1] .

والحركات في العربية تقوم بوظيفتين[2] : الأولى : عامة ترجع إلى كون الصوامت أصواتاً لايمكن النطق بها من غير أن تكتنفها الحركات ، فلا كلام بلا حركات ، وحياة الحرف بحركته ، وموتهِ بفقدها ، وقد كان سيبويه مصيباً حين سَمّى الحرف الساكن مَيِّتاً والحرف المتحرك حيّاً[3] .

والثانية : خاصّة ترجع إلى ما تؤديه الحركة في نظام العربية من تغيّر في معاني الجذر الواحد ، أي أنّها تفرّق بين الدلالات وتميّز بين الصيغ ، إذ تتقابل الحركات في مباني الألفاظ فتحدث تغيّراً واضحاً في معانيها . وَغالباً ما يحصل تغيّر البناء في العربية من طريق المغايرة بين الصوائت القصيرة (الحركات) على وفق تبادل مُنسّق يخضع لنظام العربية وأسلوبها في تركيب أصوات الكلمة .

ويُسمّي بعض المحدثين هذهِ الظاهرة نظام تعاقب المُصّوتات او التحوّل الداخلي ، ويعدّه المنبع السهل الذي تستعين به اللغة لتستحدث من اصولها الثلاثية ثروة هائلة من المفردات[4] .

وقد وقف علماء العربية عند هذهِ الفوارق الصوتية القائمة على اختلاف الحركة ، فبيّنوا أنّ العربية تتخذ من الحركة وسيلة للتفريق بين معانٍ متقاربة ، وسعوا إلى الكشف عن هذهِ المعاني[5] .

---

(1) الخصائص : 315/3 .

(2) ينظر : الفروق في اللغة ، أبو هلال العسكري : 203 .

(3) ينظر : الكتاب : 164/2 ، 222 ، 367 ، 369 ، 370 . ودراسات في اللغة والنحو ، عدنان محمد سلمان : 35 .

(4) ينظر : العربية الفصحى ، دراسة في البناء اللغوي ، هنري فليش : 58 .

(5) ينظر : إصلاح المنطق ، ابن السكيت : 37 ، وتأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة : 483 ، وتفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة : 48 ، 54 ، 122 .

وأقوى الحركات هي الضمة ، وتليها الكسرة ، وأخفهنَّ الفتحة ، وقد أدرك القدماء أن صفتي القوّة والضعف تتصلان بالمعنى ، وأشاروا إلى ذلك ، ومنهم سيبويه[1] ، والمبرد[2](ت285هـ) ، وابن جني[3] ، والرضي الاستراباذي[4](ت686هـ) ، وغيرهم .

وأشار المحدثون إلى وجود الإنسجام الصوتي في القرآن الكريم ، وانّ السرّ في ذلك يرجع إلى ((مناسبة التركيب في أحرف الكلمة الواحدة ، ثُمّ ملاءمتها للكلمة التي بإزائها ثم إتساقٍ الكلام كلّه على هذا الوجه حتى يكون كالنظم الذي يصبّ في الأذن صبّاً ، فيجري أضعفه في النسق مجرى أقواه ، لأنّ جملته مفرّعة على تناسب واحد))[5] .

وأنّ ألفاظه ((كيفما أدرتها وكيفما تأملتها لاتصيب لها في نفسك ما دون اللذة الحاضرة والإنسجام العذب ، وانّ طريقة نظم القرآن تجري على استواء واحد ، في تركيب الحروف باعتبار من أصواتها ومخارجها))[6] .

وهذا الانسجام ارتبط إرتباطاً وثيقاً بصفات هذهِ الأصوات ومخارجها ، وآلية النطق بها ، فضلاً عن حسن المجاروة بين هذهِ الصوامت ، مما لايحدث خللاً في السياق الصوتي للنص القرآني ، وقد اخترنا عدداً من النماذج للإيثار بين الصوامت والصوائت في القرآن الكريم ، على النحو الآتي :

أولاً : الإيثار الدلالي في الصوامت :

1. إيثار صوت الغين على صوت العين في (شَغَفَ وشَعَفَ) :

في قولهِ تعالى على لسان نسوة المدينة التي عاش فيها يوسف (عليه السلام) ، يصفن حُبَّ زوجة العزيز ليوسف (عليه السلام) إذ يقول عز وجل : چ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ (يوسف / 30) .

---

(1) ينظر : الكتاب : 258/2 ، 297 .

(2) ينظر : المقتضب ، المبرد : 189/2 .

(3) ينظر : الخصائص : 1/ 69 ، والمحتسب : 18/2-19 ، 17/3 .

(4) ينظر : شرح الكافية ، الرضي الاستراباذي : 1/ 20 .

(5) تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي : 2/ 23 .

(6) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي : 240-241 .

فقد اختلف المفسرون في تفسير هذهِ الآية ، من غير أن يخرجوا عن القول بدلالتها على شدّة حبّ زوجة العزيز ليوسف (عليه السلام) ، فالطبري (ت310هـ) يرى أنّ (الشغافُ) جلدةٌ على القلب ، يقال لها : لسان القلب ، وهذا يعني أنّ حبّ امرأة العزيز ليوسف (عليه السلام) دخل الجلد حتى أصاب القلب . أمّا على قراءة (شَعَفَها)[1] ، بالعين فهو يعني أنّه ذهب بها كلّ مذهب ، وهو مأخوذ من شعف الجبال ، أي : رؤوسها ، وأنّ الشغفَ والشعف مختلفان ، فالشعفُ في البغض ، والشغفُ في الحب[2] .

وقال النحاس (ت338هـ) في (الشعف) : ((معناه عند أكثر أهل اللغة : قد ذهب بها كلّ مذهب ، لأنّ شَعَفَاتِ الجبال أعاليها ، وقد شُعفَ بذلك شَعْفَاً بإسكان العين ، أي أولع به ، إلاّ أنّ أبا عبيد أنشد بيت امرئ القيس :

أَيَقْتُلُنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا كَمَا شَعَفَ المَهَنُوءَةَ الرجُلُ الطّالي[3]

قال : فَشُبِّهت لوعةُ الحبّ وَجَواهُ بذلك . وروي عن الشعبي أنّه قال : الشغفُ : حبٌّ ، والشَّعَفُ : جنونٌ))[4] .

وذكر أبو الفرج بنُ الجوزي (ت597هـ) ، أربعة أقوال في الشغاف[5] :

أحدهما : أنّه جلدة بين القلب والفؤاد .

والثاني : أنّه غلاف القلب .

والثالث : أنّه حَبّة القلب وسويداؤه .

والرابع : أنّه داءٌ يكون في الشراسيف وهي مقاطّ رؤوس الأضلاع .

---

(1) وهي قراءة الحسن البصري وابن محيصن ، وغيرهما ، على حين هي لدى الجمهور (شغفها) بالغين ، وعدها ابن جني من القراءات الشاذة ، ينظر : المحتسب في شواذ القراءات ، ابن جني : 1/ 339 ، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، أحمد عبد الغني الدمياطي : 264 .

(2) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : 13 / 119 -121 .

(3) ديوان امرئ القيس : 233 .

(4) معاني القرآن الكريم ، النحاس : 3/ 419 – 420 .

(5) ينظر : زاد المسير في علم التفسير ، ابو الفرج الجوزي : 4/ 214 .

ولذلك أنشدوا :

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُوْنَ ذلكَ دَاخلٌ دُخولَ الشغافِ تَبْتَغِيهِ الأصابعُ[1]

ولم يزد الرازي (ت606هـ) على ذلك شيئاً ، وقد تحدّث عن قراءة (شَعَفَها) بالعين ، إذ قال : ((يقال : شعفه الهوى إذا بلغ إلى حَدّ الإحتراق ، وشعف الهناء البعير إذا بلغ منه الألم إلى حدّ الإحتراق ، وكشف أبو عبيدة عن هذا المعنى فقال : الشعف بالعين إحراق الحبّ القلب مع لذةٍ يجدها ، كما أنّ البعير إذا هنىء بالقطران يبلغ منه مثل ذلك ثم يستروح إليه ، وقال ابن الأنباري : الشعف رؤوس الجبال ، ومعنى شعف بفلان إذا ارتفع حبّه إلى أعلى المواضيع في قلبه))[2] .

وقال القرطبي(ت671هـ) :((الشغاف حجاب القلب ، والشّعاف سويداء القلب ، فلو وصل الحبُّ إلى الشَّعاف لماتت . وقال الحسن : ويقال : إنّ الشّغاف الجلدة اللاصقة بالقلب التي لاترى ، وهي الجلدة البيضاء ، فلصق حبُّه بقلبها كلُصُوق الجلدة بالقلب))[3] .

و(الشغاف) لغةً : هو غلافٌ يحيط بالقلب فهو دونه كالحجاب[4] ، وشغفه شغفاً بمعنى وصل إلى شغاف قلبه ، أمّا (الشعف) فهو أعالي كلّ شيء ورأسه ، فشعف الجبل : رأسه وأعاليه ، وشعفُ القلب : هو رأسه المُعَلّق عند النياط ، وشعفه الحبّ : ((أي وصل إلى رأس قلبه))[5] ، وقيل شغفه الحبّ : أحرق قلبه[6] .

فـ(شَعَفَ) في العربية بمعنى أحْرَق ، وهو متناسب مع دلالة النص الذي يصف شدّة حبّ زوجة العزيز ليوسف (عليه السلام) ، ولاسيّما أنه لفظ معروف في كلام العرب

---

(1) البيت للنابغة الذبياني ، ينظر : ديوانه : 79 .

(2) مفاتيح الغيب : 18 / 129 .

(3) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : 11/ 328 .

(4) ينظر : (شغف) في : الصحاح ، الجوهري : 1382/4 ، ومقاييس اللغة ، أحمد بن فارس : 3/ 195 ، وتفسير مفردات ألفاظ القرآن ، سميح عاطف الزين : 470 .

(5) مقاييس اللغة : 3/ 195 .

(6) ينظر : الصحاح : 1382/4 .

لوصف شدة الوَلَع ، وحُرقَه الفؤاد ، وهذا يثبت حدوث تغيّر دلالي سببه التغيّر الفونيمي ، وهو أمرٌ ثابت لغةً وقد أتفق عليه أغلب علماء العربية ، كما مرّ آنفاً .

ولو أجرينا موازنة صوتية بين (شَغَفَ) و (شَعَفَ) لوجدنا كُلّاً منهما مُتناسباً بأصواته مع معناه الذي يدلّ عليه ، فـ(الشَغف) يمسّ القلب برقة وعذوبة يذوقها الوَلهان أوّل حُبّهِ ، واوحى بذلك صَوت الغين الرخو المجهور[1] ، الذي يوحي دائماً بشيءٍ من الخفاء والغموض ، في نحو غَمُضَ وغَفَى وغارَ وغاصَ وغطىّ وغشىّ ، فكأنّ الحُبَّ مُتَخَفٍّ بين جنبات القلب . و امّا (الشغف) فهو إحراقٌ للقلب ولَوْعة وإتّقاد مع لذةٍ يجدها ، وكانّه يحُصُلُ بعد بلوغ الحُبّ أمداً طويلاً ، وأوحى بذلك صوت العين المتوسط المجهور[2] ، الذي يوصف بأنّه أطلق الأصوات وأفخمها جرساً ، وأنصعها سمعاً[3] ، فهو يوحي دوماً بالوضوح والعلانية في نحو : شَعَّ ، وشَعَرَ ، وعَلَنَ، وعَرَفَ ، وعَلِمَ ، فضلاً عن أنّ تجاور الصوتين يبيح الإيثار بينهما ، إذ العين حلقية ، والغين طبقية[4] .

2. **إيثار صوت الخاء على صوت الحاء في (نَضَخَ ونَضَحَ) :**

ورد هذان اللفظان في تفسير قولهِ تعالى في وصف الجنّة التي وعد بها المتقون : چ □ □ ى چ الرحمن: ٦٦ .

وذكر المفسرون ثلاثة تأويلات في هذهِ الآية الكريمة[5] :

احدها : أنهما ممتلئتان لاتنقطعتان .

والثاني : أنهما جاريتان .

---

(1) ينظر : الكتاب ، سيبويه : 4/433-434 .

(2) ينظر : المصدر نفسه : 4/433-434 .

(3) ينظر : العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي : 1/ 53 .

(4) ينظر : المحيط في أصوات العربية ، محمد الأنطاكي : 18 – 19 .

(5) ينظر : النكت والعيون ، تفسير الماوردي (ت450هـ) : 5/441 ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي : 14/154-155 ، وروح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، أبو الثناء الآلوسي : 27/ 122 .

والثالث : أنهما فوّارتان ، وذكر في الجنتين الأوليين عينين تجريان ، في حين ذكر الأخريين عينين نضاختين ، والجري أكثر من النضخ ، كما ذكروا في النضخ أربعة اوجه :

احدها : أنّها تتضخ بالماء .

والثاني : بالمسك والعنبر .

والثالث : بالخير والبركة .

والرابع : بأنواع الفواكه .

وقال ابن عطيّة (ت546هـ) : ((والنضّاخة الفوّارة التي يهيج ماؤها))[1] . وذهب البقاعي (ت885هـ) إلى أنّهما ((تفوران بشدة توجب لهما رشاش الماء بحيث لاينقطع ذلك ، ولم يذكر جريهما فكأنهما بحيث يرويان جنتهما ولايبلغان الجري ، والنضخ دون الجري وفوق النضح ... وكانهما كمن تغرغر عيناه بالدمع فتمتلئان من غير جري))[2] .

ويرى الشوكاني (ت1250هـ) أنّ النضخ ((فوران الماء من العين ، والمعنى : أنّ في الجنتين المذكورتين عينين فوارتين ... قال الحسن ومجاهد : تتضخ على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور في دور أهل الجنة كما ينضخ رش المطر))[3] .

امّا عند أهل اللغة ، فـ(النَضْحُ) : يدلّ على شيءٍ يُندِّي ، وماء يُرَشّ ، ويُقال لكلِّ ما رَقَّ : نضح ؛ لأنّ الرشّ رقيق ، فيقال : نضحْتُ البيت بالماء ، ونضحَ جلده بالعَرق . أمّا (النَضْخُ) فهو قريب من النَضْح ، إلاّ أنّه أكثر منه ، فهو دفق الماء ، ولذا قيل : غيثٌ نَضّاخ أي كثير الهطول ، وعَينٌ نَضّاخة كثيرة الماء فوّارة[4] .

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي : 235/5 .

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي : 19 / 188 .

(3) فتح القدير ، الشوكاني : 188/5 – 189 .

(4) ينظر : (نضح ونضخ) في مقاييس اللغة : 438/5 ، ولسان العرب (نضح ونضخ) ، وتفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم : 865 .

ويتفق أهل اللغة والتفسير على أنّ الآية قُرئت بالحاء والخاء ، وأنّ في هذا الاستبدال الفونيمي تغيّراً دلالياً[1] ، ولكنهم اختلفوا في تحديد ما تنضخ به العينان كما مَرّ آنفاً ، والراجح أنّه الماء ؛ لأنّه المعروف في العيون ، إذ كانتا عيني ماء[2] .

ولو تأملنا الفارق الدلالي المترتب على الفارق الصوتي ، لوجدناه ماثلاً في الصوتين المبدلين ، فالخاء والحاء كلاهما رِخو مهموس[3] ، ولكنَّ الخاء الطبقية أكثر احتكاكاً ؛ إذ يقترب جدار الحلق من الطبق فيضيق مجرى الهواء فَيُسمَع له عند مُروره صوت مفخّم[4] ، قياساً للحاء الحلقي الذي يتسع فيه مَجرى الهواء فيُمرّ فيه مُحدثاً حفيفاً خافت الصوت يكاد يقترب من الهاء[5] ، فحاكت شدّة إحتكاك الخاء قوّة دفق الماء من العين الفوّارة ، كما حاكت رِقّة إحتكاك الحاء غير المعجمة للماء السخيف يِخفّ أثره ، وقالوا : ((النضخ بالخاء لما يَقوى أثره قبيل الثوب ونحوه بلاً ظاهراً ؛ وذلك لأنّ الخاء أوفى صوتاً من الحاء ، ألا ترى إلى غِلَظ الخاء ورقّة الحاء))[6] .

فالعين النضاخة لها مزيّة تميّزها من غيرها من العيون المتدفقة ، وهي أنَّ الماء فيها يتفجّر (صُعُداً) أي يتدفق بأتجاه العلوّ لقوّتهِ وشدّة إندفاعِهِ ، وفي هذا إشارة إلى الخير الوافر ، والنعم المُمتعة والمنظر الحسن الذي يفيض على أهل الجنّة ، فجعل صعود الماء إلى أعلى شرطاً في الوصف بالنضخ ، وليس قوّة الماء فحسب[7] . والله أعلم .

---

(1) ينظر : الخصائص : 2/ 160 .
(2) ينظر : جامع البيان ، الطبري : 27 / 156 – 157 ، والجامع لأحكام القرآن : 17 / 185 .
(3) ينظر : الكتاب : 4/433-434 .
(4) ينظر : المدخل إلى علم أصوات العربية : 192 ، والوجيز في فقه اللغة العربية : 195 ، وخصائص الحروف العربية ومعانيها : 174 ، وعلم اللغة ، السعران 154 .
(5) ينظر : الوجيز في فقه اللغة : 198 .
(6) المحتسب في شواذ القراءات : 2/ 19 ، وينظر : الخصائص : 2/ 16 .
(7) ينظر : التفسير الكبير ، الفخر الرازي : 29 / 379 .

ثانيا : الإيثار الدلالي في الصوائت :

1. الإيثار بين الضمّة والكسرة ، ومنه :

أ. إيثار الكسرة على الضمة في (الإرية والأُربة) :

في قوله تعالى : ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ
ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ
ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯩ ﯪ ﯫ □ □ □ □ □ ﭼ النور: ٣١

قال الطبري (310هـ) : ((و(الإربة) الفِعْلَةُ من الأرب ؛ مثل الجِلْسَةِ من الجلوس ، والمِشية من المشي ، وهي الحاجة ، يقال : لا أَرَبَ لي فيك : لاحاجة لي فيك . وكذا : أرِبْتُ لكذا وكذا . إذا أحتجت إليه ، فأنا آرَبُ له أَرَبًا . فأمّا (الأُرْبَةُ) بضمِّ الألفِ ، فالعُقْدَةُ))[1] .

وفسرها الطوسي (460هـ) بقولهِ : ((الإربة بالكسر الحاجة ، والأُربةُ بالضمّ العُقدة ؛ كالعُقْدَة حتى تنحل لسدّ الخلّة ؛ ولأنّ العقدة التي تمنع من المنفعة يُحتاج إلى حلّها ؛ لأنّ العُقْدَة عمدة الحاجة))[2] . ففرّق بينهما في الدلالة ، منبهاً أيضاً على مابينهما من معنى .

و(الأربة) عند الزمخشري (ت538هـ) ، هي الحاجة أيضاً و(أولو الأربة) ((هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ، ولاحاجة لهم إلى النساء ، لأنهم بله لايعرفون شيئاً من أمرهن ، أو شيوخ صلحاء ، إذا كانوا معهنّ غضّوا أبصارهم ، أو بهم عنانة))[3] .

وذكر ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية أنّ (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ) هم : ((صنفٌ من الرجال الأحرار تشترك أفراده في الوصفين وهما التبعية وعدم الأربة ، فأمّا التبعيّة فهي كونهم من أتباع بيت المرأة وليسوا ملك يمينها ولكنهم يترددون على بيتها لأخذ الصدقة أو للخدمة .

---

(1) جامع البيان ، الطبري : 17 / 271 .

(2) التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي : 340/7 .

(3) الكشاف ، الزمخشري : 3/ 226 ، وينظر : مجمع البيان ، الطبرسي : 242/7 .

والإربة : الحاجة ، والمراد بها الحاجة إلى قربان النساء ، وإنتفاء هذهِ الحاجة تظهر في المجبوب والعنين والشيخ الهرم فرخص الله في إبداء الزينة لنظر هؤلاء لرفع المشقة عن النساء مع السلامة الغالبة من تطرّق الشهوة وآثارها من الجانبين))[1] .

أمّا عند أهل اللغة ، فـ(الإربة) : من أرب ، وهي الحاجة ، وقيل : هي الدهاء والبصر بالأمور ، وهو من العقل[2] ، وهي أيضاً فرط الحاجة المقتضي للاحتيال في دفعهِ[3] .

والتعليل الصوتي لهذا الإيثار ، هو انّ العُقدة أشدّ عُسراً من الحاجة ، فيقال أرب الرجل : إذا تشدّدَ وتحكّرَ ، وتأرّبَ عليهم : إذا التوى وتَعَسّرَ[4] ، ولذا جاءَ اللفظ بضمّ الهمزة ، إذ يتناسب الضمّ الثقيل مع العقدة المُجهِدة والشاقة ، كما يتناسب الكسر الأقل ثقلاً مع الحاجة الأقل كلفة من العقدة . والله تعالى أعلم .

ب. إيثار الضمة على الكسرة في (جُذَاذ وجِذَاذ) :

قال تعالى : چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ چ الأنبياء: ٥٨

قال الكسائي (ت189هـ) : ((ويقال لحجارة الذهب جُذاذاً لأنّها تكسر))[5] .

وفَسّرَ ابن قتيبة (ت276هـ) قوله تعالى (ٱ ب) قال : ((أي فتاتاً ، وكلّ شيءٍ كسرته : فقد جذذته ، ومنه قيل للسويق : جذيذ))[6] .

وقال أبو حيّان (ت745هـ) : (((جذاذاً) بالضم جمع جذاذة كزجاج وزجاجة ، وقيل : بالكسر جمع جذيذ ككريم وكرام))[7] .

---

(1) تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور : 211/18 .

(2) ينظر : (أرب) في العين ، الفراهيدي : 289/8-290 ، ومقاييس اللغة : 89/1-90 ، ولسان العرب : 208/1-209 .

(3) ينظر : تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم : 73 .

(4) ينظر : مقاييس اللغة : 90/1-91 .

(5) معاني القرآن ، الكسائي : 196 .

(6) تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة : 286 .

(7) البحر المحيط ، أبو حيّان : 6 / 301 . وينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، النسفي : 710/2 .

وذهبَ البقاعي (ت885هـ) إلى أنّ (جذاذاً) ((قطعاً مهشمة مكسرة مفتتة من الجذ وهو القطع))[1] .

وعلى هذا فإنّ (جُذاذاً) بالضمّ جمع جذيذة ، وهي القطعة الواحدة المكسورة ، و(جِذاذاً) بالكسر جمع جذيذة ، وهو الشيء المتُكسر إلى قطع ، ومن ثمَّ فإنّ (جِذاذاً) بالكسر جمع للأصل ، و(جُذاذاً) بالضم جمع للفرع ؛ ولأنّ القِطع المتكسرة نتجت عن عملية التكسير والتقطيع التي تحتاج إلى جهد ، لذلك فهي تحتاج إلى صوت يُحاكي هذا الجهد ، فكانت تلك الضمّة التي تفوق الكسرة ثقلاً ، والله أعلم .

2. **الإيثار بين الضمة والفتحة ، ومنه** :

أ- إيثار الفتحة على الضمة في (القُرْح والقَرْح) :

وقد وردت في قوله تعالى :

چ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى چ (آل عمران / 140) .

ذكر المفسرون في (القرح) قراءتين ، إذ قرأها أهل الكوفة إلاّ حفصاً بضم القاف من (قُرح) وقرأها الباقون بفتحها[2] ، ثم فرّقوا بين القراءتين دلالياً ، قال الفراء : ((القُرْح : الم الجراحات ، وكأنَّ القَرْح : الجراح بأعيانها))[3] . وإليه ذهب ابن خالويه (ت370هـ)[4] .

وذكر الماورديّ أنّ ((القَرْح بالفتح : الجراح ، وبالضم ألم الجراح ، وهو قول الأكثرين))[5] . والمعنى : ((إِنْ يَمْسَسْكُمْ يومَ أُحد قَرْحٌ فقد مَسَّ القومَ يومَ بدرٍ قَرْحٌ

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي : 12 / 438 ، وينظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، الثعالبي : 4/89-90 ، وروح المعاني الآلوسي : 17 / 61-62 .

(2) ينظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : 179 .

(3) معاني القرآن : 234/1 ، وينظر : جامع البيان ، الطبري : 4/103 -104 .

(4) ينظر : إعراب القراءات السبع وعللها وحججها ، ابن خالويه : 179/1 .

(5) النكت والعيون ، الماوردي : 1/ 426 .

مثله))[1] أي : ((إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم يوم بدر ، ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال ، فأنتم أولى ان لاتضعفوا))[2] .

والقرح لغةً : من قَرحَ يقرُح قرحاً بمعنى جُرِحَ ، وهو ((عضّ السلاح ممّا يجَرح الجسد))[3] ، والقُرح مايخرج به من قروح ، فالقريح : الجريح ، والقَرحُ : الذي خرجت منه القُروح[4] ، وقيل : ((القَرْح بالفتح أثر الجرح من شيءٍ يصيب الجسد من الجارح ، والقُرْحُ أثره من الداخل ، أو هو ألم الجُرْح))[5] .

فألم الجرح فيه أذىً ، وهو أمرٌ حسيّ ملموس ؛ وقد يستمر بعد الجرح مدة ، لذلك أوثِرَ آختيار الضمة له ، وجعلت الفتحة الخفيفة للجرح نفسه ، والله أعلم .

3. **الإيثار بين الكسرة والفتحة** ، ومنه :

أ. إيثار الكسرة على الفتحة في (العِوَج والعَوَج) :

في قوله تعالى : ﭽ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ الكهف: ١ .

قال الطبري (ت310هـ) : ((كُسِرَت العين من قوله (ﯩ) ؛ لأنّ العربَ كذلك تقول في كُلّ إعوجاج كان في دينٍ ، أو فيما لايُرَى شخصه قائماً ، فُيدْرَكَ عِياناً منتصباً كالعِوَج في الدين ، ولذلك كُسِرت العين في هذا الموضع ، وكذلك العِوَجُ في الطريق ؛ لأنّه ليس بالشخص المنتصب ، فأمّا ما كان من عوج في الأشخاص المنتصبة قياماً ، فإنّ عينها تُفْتَحُ ، كالعوج في القناة والخشبة ونحوها))[6] .

يُفهم من هذا الكلام أنّ العرب قد فرّقوا بين مايُرَى وما لايُرى ، فوضعوا الحركة الأخف والأسهل للمعنى الذي يسهل إدراكه ، وهو المعنى المادي المحسوس ، ووضعوا الحركة الأثقل للمعنى الذي لايسهل إدراكه ، وهو المعنوي الذي يحتاج إلى إعمال فكر وتأمل ليوصل إليه ، فلا يدرك إلاّ بالعقل ، وقد أشار ابن جني إلى ذلك حين بيّن أنهم يختارون

---

(1) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : 335/5 .
(2) الكشاف ، الزمخشري : 1 / 410 .
(3) لسان العرب : مادة (قرح) : 2/ 557 .
(4) ينظر : مقاييس اللغة : مادة (قرح) : 5 / 82 .
(5) تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم : 696 .
(6) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : 15 / 142 .

الحرف الأقوى للمعنى الأقوى ، والحرف الأضعف للمعنى الأضعف ومثل لذلك بقضَمَ وخضَمَ[1] .

وذكر ابن عطية (ت546هـ) أنّ (((العوج) فقد الاستقامة ، وهو بكسر العين في الأمور والطرق وما لايحس منتصباً شخصاً ، و(العوج) بفتح العين في الأشخاص كالعصا والحائط ونحوه))[2] .

و(العِوَج) لغةً : من عَوِجَ يعوَجُ عِوَجاَ وعَوَجاً: وهو الانعطاف فيما كان قائماً فمال ، كالرُمح والحائط[3] ، فيقول : عُجتُ البعير بزمامه ، وفلان مايُعوجُ عن شيءٍ يَهمُّ به ، أي مايرجعُ ، والعَوَجُ بالفتح فيما يُدرك بالبصر ، والعِوَجُ بالكسر فيما يُدرَك بالبصيرة[4] .

(1) ينظر : الخصائص : 2 / 158 .

(2) المحرر الوجيز ، ابن عطية : 3 / 494 – 495 ، وينظر : مجمع البيان ، الطبرسي : 6 / 308 .

(3) ينظر : لسان العرب ، مادة (عوج) : 2 / 331 – 332 .

(4) ينظر : إصلاح المنطق ، ابن السكيت : 164 .

Abstract

The Glorious Quran is the Ultimate script and the immortal marvel that overwhelmed the readers by its expressiveness and rhetoric. The best study is the one that is in its shadows because it is the script that can never be exhausted by the amount of interpretations. It is still that sea which is full of discoveries for scholars and learner. It still confuses human thinking with the precision of its expressions and the beauty of its style. scholars still search its verses and search for its secrets for centuries, but, trough those centuries, it is still fresh with its inimitability that steals the brains and surrendering them.

The language of this script is one of the aspects of its inimitability. Its words are not like any words and any discourse cannot reach its extent. it is the word of God. So, the word of the Creator is not like the words of the created is if the Creator is not like the created.

I was hoping that my study will be in this Glorious scrip. It was the favor of God that my study became entitled **"Semantic Altruism in the Glorious Quran"** to be the center of my research for more than two years. The reasons behind conducting this study were:

1. The topic was essentially connected with the Glorious Quran.
2. The subject has a wide scope. It is investigating how the Glorious Quran prefers a semantic sign rather than the others to suit the context in the verse of a certain Surah. This was referred to by the interpreters of the Quran and those who wrote in Quran inimitability. This will give the scholar knowledge and certainity as well as motivating the investigators in Islamic literature to reflect the words of God.

كلية التربية للعلوم الإنسانية
جامعة ديالى
المكتب الاستشاري للغات والترجمة